

التمثيلات الاجتماعية ؛ مقاربات المفهوم في العلوم الاجتماعية

The Social representations ; Approaches of the concept in social sciences

أ.د : ضيف غنية

مخبر الدين والمجتمع

جامعة الجزائر 02

ghania.khelassi@gmail.com

بن ميسية فوزية¹

مخبر الدين والمجتمع

جامعة الجزائر 02

fouzia.benmicia@univ-alger2.dz

تاريخ الوصول 2020/11/16 القبول 2021/04/19 النشر على الخط 2021/10/30

Received 16/11/2020 Accepted 19/04/2021 Published online 30/10/2021

ملخص :

يعدّ مفهوم التمثيلات الاجتماعية ؛ وحدة اقتراب خصبة، واعدة للعلوم الاجتماعية طرا، هذا المفهوم بمحولاته الاليسيمية، يحاول التغلغل في جزئيات، وأعماق البناء الاجتماعي لاستجلاء، وفهم الدلالة الرمزية التي يخلعها الفرد على الفعل الاجتماعي، حيث استعمل بمعانٍ ودلالات مختلفة، باختلاف الحقول المعرفية التي وظف فيها، فاحتلّ بذلك مكانة مميزة في الأنظمة الفلسفية القديمة، كما استعمل في الأدبيات الماركسية، بيد أنّه ارتبط بشكل مباشر بالمتن السوسيولوجي الكلاسيكي مع إميل دوركايم، وحديثا بالسوسيولوجية الأوروبية (الفرنسية) مع سيرج موسكوفسكي وغيره من الباحثين، وتأسيسا لذلك ستحدّد نقطة الإنطلاق بالتحديد اللغوي، والاصطلاحي للمفهوم ومن ثمة العروج على أهم المقاربات النظرية المؤثرة له، مع التركيز على أهم مقاربتين (السوسيولوجية، السيكسوسولوجية) كان قد تبلور في إطارها هذا المفهوم وأصبح بذلك نظرية علمية؛ توسم بنظرية التمثيلات الاجتماعية، يستند إليها الباحثون في مقارنة مختلف الظواهر الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية : المقاربات، التمثيل، التمثيلات الجمعية، التمثيلات الاجتماعية، نظرية التمثيلات الاجتماعية .

Abstract:

The concept of social representations is a fertile and promising approach to the social sciences, this concept with its epistemia load, tries to penetrate into the molecules, the depths of the social construction to clarify, and understand the symbolic significance that the individual takes on the social action, where it was used with Different cognitive fields in which he was employed, thus occupying a privileged position in the ancient philosophical systems, as used in Marxist literature, but it was directly associated with the traditional sociological body with Emile Dorkaim, and more recently sociological European (French) with Serge Moscoffsi, and therefore the starting point will be determined by the linguistic definition, and the terminology of the concept, hence the arguments on the most important theoretical approaches furnished to it, focusing on the two most important approaches (sociological , Psychology) crystallized within them this concept and thus became a scientific theory, characterized by the theory of social representations, on which researchers are based on the approach of various social phenomena

Keywords: Approaches, representations, association representations, social representations, theory of social representations.

1. مقدمة:

الحقيقة الاجتماعية التي لا مرأ فيها هي أنّ الفرد لا يولد مزوداً بالمعارف ، وإنما هي نتاج تواصله وتفاعله الدائم مع المجتمع المتقدم عليه كرونولوجياً وأنطولوجياً ؛ ولئن كانت كذلك فهي تُبنى باستمرار عنده مع الزمن ذلك البناء بالأساس يعتمد على جملة من النشاطات الذهنية والمعرفية ؛ لعلّ من أهمها التمثّلات الاجتماعية.

رغم أنّ هذه الثيمة جديدة في الأجنحة البحثية ؛ بيد إنها كظاهرة تفكيرية تأملية تعود إلى جذور موغلة في تاريخ التفكير الفلسفي، ما جعلها تتناثر على ضفاف العديد من النحل المعرفية سواء في العلوم الإنسانية، أو الاجتماعية ، وهو ما أكّدت عليه دونيز جودلي (Jodelet, D) بقولها : « يشغل هذا المفهوم عند حافتي السيكلوجيا و السوسيولوجيا »⁽¹⁾، بمعنى آخر إنّنا في ملتقى الطرق، الفردي الذي يمتدّ وجوده من منشأ اجتماعي والاجتماعي الذي يتبدّى في الفردي في شكل أفعال وممارسات اجتماعية، الأمر الذي عسر من تطويقها معرفياً، وتأسيساً لذلك، وقبل الإنطلاق في تحديد أهم المقاربات النظرية المؤنّثة لهذا المفهوم الرئيس في المقال، حرّياً بنا الخروج على التطوّر الكرونولوجي الذي عرفه ؛ خاصّة بعدما غدا موضوعاً قميناً بالدراسة والاستقصاء وذلك لما له من أهمية في صوغ، وبناء الحقيقة الاجتماعية، وتغيّرها حسب المواقف والوضعيات التي يحتلّها الفاعلون الاجتماعيون ؛ فما هو إذن هذا الكائن المفاهيمي، ماهي دلالاته اللغوية والاصطلاحية ؟ كيف تنشأ التمثّلات الاجتماعية ؟ لماذا هي اجتماعية و ليست جمعية ؟ هذه التساؤلات وسواها ما يندّ عن الحصر سنحاول الإحاطة بها في هذه الجزئية من المقال .

2. المدلول اللغوي، والاصطلاحي لمفهوم التمثّلات الاجتماعية :

1.2 . لغة :

" ترد صيغة الفعل (تمثّل) على وزن (تَفَعَّل) الذي مصدره تَفَعَّلَ وجمعه (تمثّلات)، فهو ثلاثي مزيد بحرفين، ومن دلالات هذا الوزن المطاوعة والاتخاذ والتكلف، وبأبي معنى التكلف للدلالة على أنّ الفاعل يعاني حدث الفعل ؛ ليحصل له بمعاناة ورغبة . " ⁽²⁾ من خلال هذه القراءة المتأنيّة، يبدو أنّ الفاعل يبذل جهداً في حصول الشّيء، ومن هنا تغدو دلالة الفعل (تمثّل) بذلّ جهد لتمثّل صورة شيء ما في الذّهن بغض النظر عن كونه : حدث، موضوع أو شخص ما .

نقرأ في قاموس (le grand la rousse) : مصطلح التمثّل (représentation) المشتق من الفعل الفرنسي (représenter) بوصفه حضور الشّيء، ومثوله أمام العين ، أو الخيال بواسطة الرّسم أو النّحت أو اللّغة أثناء الكلام " Balzac Honore "، وهو أحد أعمدة الرواية الفرنسية، حيث قام بتصوّر، أي باستحضار المجتمع الفرنسي إبّان فترة الإصلاح، وذلك من خلال مختلف رواياته ، وبهذا المعنى يقول : « جورج دوهامل

(Georges Duhamel) إذا كان عدد أصدقاتك ثلاثة وعشرون، فإنّ لديك عنهم ثلاثة وعشون تمثّلاً. »⁽³⁾

يبدو أنّ الاشتقاق الفرنسي يضيف إلى الفعل تمثّل ؛ فكرة استحضار صورة موضوع غائب عن الذّهن، أو إمكانية تشبيه الشّيء بآخر عن طريق الرّسم ، أو النّحت أو اللّغة والتعبير.

1) Jodelet , D, Les représentations sociales: PUF: Paris, 1989,p :53

2) سليمان قياض : الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، دار المزيخ للنشر، ط01، الرياض، السعودية 1990، ص89 .

3) Guilbert et autres auteurs ;le grand la rousse de la langue française ; puf ; paris 1977 ; p : 5095 .

إنّ المقاربة اللغوية على أهميتها، تبقى غير كافية للإحاطة والتعامل مع مفهوم رَحَالٍ، فلقى من الناحية النظرية باعتراف منظريه (موسكوفيتسي و مجاييه) ؛ ولعلّ هذا ما سنفرده على طول صفحات المقال ؛ إنّه مفهوم يُثيرُ أسئلةً أكثر مما يقدم إجاباتٍ ؛ ممّا يستدعي تنوع قنوات البحث للإحاطة به، وتحديدده بشكل ملائم .

2.2 اصطلاحاً:

تعتبر التمثّلات من المصطلحات التقليدية في الفلسفة، وعلم النفس وتستعمل للدلالة على ما تصوّره وتمثّله، وتكوّن المحتوى المحسوس لفعل التفكير، وخصوصاً لاسترجاع إدراك سابق⁽¹⁾ .

يقدم جون سكوت (John Scott) في مؤلفه الشهير " المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع " تعريفاً لها بقوله « هي مجموع الظواهر الفكرية المشتركة ؛ التي ينظم من خلالها الناس حياتهم، وتشكّل مكونات جوهرية من أيّ ثقافة ، وقد طرح هذا المصطلح لأول مرة من طرف دوركايم ؛ للإشارة إلى واحدة من الحقائق الاجتماعية التي يعنى بها علم الاجتماع، وهي مجموع الأفكار والقيم، والرموز، والتوقعات التي تشكّل طرق التفكير، والشعور التي تتسم بالعمومية، والديمومة ضمن مجتمع ما، أو مجموعة اجتماعية، والتي تشاركها باعتبارها خصيصة اجتماعية لها . »⁽²⁾

وعلى الجملة فإننا نفهم من خلال هذا التحديد اللغوي، و الاصطلاحى أنّ التمثّلات الاجتماعية : هي جمع بين مفردتين : فعل التمثّل، وصفته الاجتماعية، ويعني جمعهما معاً، مجموع الانطباعات والأفكار التي يكونها الفرد عن شخص أو حادثة أو موضوع ما، أو شيء آخر في ذهنه، أي إنّها بمثابة أنساق مرجعية تستند وتقوم عليها الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات، فالوضعية التي يتواجد بها الفرد أو يشغلها ضمن تلك الجماعة

هي من تضطرّه، وبطريقة غير واعية إلى استحضار تلك الأنساق الاجتماعية أثناء الفعل، والممارسة، وهي اجتماعية ؛ لأنّها مشتركة ومتقاسمة بين أفراد المجتمع .

3 . الطّور الكرونولوجي، والمقاربات النظرية للتمثّلات الاجتماعية :

1.3 المقاربة الفلسفية :

لقد كان للفلاسفة الألمان قصب السبق في استعمال مفهوم التمثّلات لأهداف إبستمولوجية، وكان يشير إلى النشاط العقلي الذي يستحضر العقل من خلاله موضوعاً، أو حدثاً غائباً بواسطة الصورة التي تعكس الواقع الخارجي كما هو، ولا ندلّ على حديثنا هذا من القولة الدّاعية صيئها ؛ لفيلسوف النّزعة المثاليّة إيمانويل كانط (1724 - 1804) « إنّ معارفنا تتشكّل من مواضيع، ما هي إلّا تمثّلات، أي إنّ أفكارنا، ومعارفنا هي نتاج أُطرٍ و بنياتٍ ذهنيّة، كما أنّ المعرفة النهائيّة للواقع هي معرفة مستحيّلة . »⁽³⁾

لقد بيّن (كانط) أهميّة التمثّلات في حياتنا اليوميّة، فلا لا توجد حقيقة نهائية لإدراك الواقع الخارجي، لأنّ طبيعة المعرفة في تراكم مستمرّ، و تألّف من خلال مجموعة من الخبرات، وكلّ خبرة جديدة بالأساس ما هي إلّا تمثّل مرتبط بخبرة سابقة، وهو ما يؤشّر لإعادة بناء المعرفة .

(1) جان لابلانش، ج ب بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، ط03 لبنان، 1997، ص180 .

(2) جون سكوت، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، تر: محمّد عثمان، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر ط02، بيروت، لبنان، 2009، ص123 .

3) Ruano-Borbalan, J, " Une notion clef des sciences humaines " revue des sciences humaines n°27, avril, France, 1993p :16

حرّيّ بنا ونحن نحاول أن نستبينَ بعض الطّروحات الفلسفيّة لهذه المفردة، أن نعود كذلك إلى أزوْمَتِها العربيّة لبنينَ أهميّة تراثنا الفكريّ من جهة، ولأنّ تاريخ العلوم يستلزم ذلك من جهة أخرى، حيث نجدّها حاضرة في المتن الفلسفيّ العربيّ، فعلى سبيل المثال العالم العربي (ابن سينا 981-1037) وفي إشارة منه للصّورة الذهنيّة، اعتبر: أنّ الأشياء لها وجودان وجود خارج الدّهن سمّاها الأعيان، ووجود في الدّهن سمّاها التّصور⁽¹⁾ وهو بهذا يسمّي صوّر الأشياء الموجودة والعالقة في عقل الإنسان بالتّصور، فعلى سبيل المثال: جهاز المحمول الذي بين أيدينا ندركه أنّه كذلك بمجرد رؤيته، لماذا؟ لأنّ صورته انثالت من الذاكرة، ناهيك عن توافر بعض شروط إدراكه: كالحجم، الخصائص، فندرك بذلك ماهيّةه ومختلف فوائده.

كما أشار إلى هذا المفهوم العلامة (ابن خلدون 1332 - 1406) في سفره القيم؛ الذي وسمه بالمقدّمة واصفا فيه تطوّر الأمم من البداوة إلى الحضارة، إذ استعمله بمعانٍ جمة، لا يسعنا المقام لتناولها بالشرح والتحليل غير أنّنا أثّرنا على ذكر الأهمّ منها، والأكثر وضوحاً، يقول في هذا الصّدّد: «إنّ أسباب التّصورات تصوّرات أخرى وكلّ ما يقع في النّفس من تصوّرات فمجهول سببه؛ إذ لا يطلّع أحد على مبادئ الأمور النّفسانيّة ولا على ترتيبها، إنّما هي أشياء يلقيها الله في الفكر تتبع بعضها بعضاً، والإنسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وإنّما يحيط علماً في الأسباب الظّاهرة التي هي طبيعة ظاهرة، وتقع في مداركنا على نظام وترتيب؛ لأنّ الطّبيعة محصورة للنّفس، أمّا التّصورات فطائفاً أوسع من النّفس؛ لأنّها للعقل الذي هو فوق طور النّفس، ولا تكاد النّفس تدرك الكثير منها فضلاً عن الإحاطة...»⁽²⁾

نفهم من هاتين القولتين أنّ: ابن خلدون دلّ على التّصورات بطريقتين؛ أوّلها أنّها تقع في النّفس (العقل الذات) وهي أعمق، ثمّ رأى أنّها تصوّرات تتلاحق وتترابط، ويعني ذلك أنّها عملية إنتاجية مستمرة، وهو ما يبرّر فكرته حول حاجة الإنسان للاجتماع مع أخيه باعتباره كائن اجتماعيّ بطبعه، ممّا يساهم في نشأة واستمراريّة الحياة الاجتماعيّة.

2.3 المقاربة السّوسولوجية:

بعيدا عن تلك الطّروحات الفلسفيّة، وحسب التّاريخيّة لابن خلدون، وإرثه في علم العمران، الذي غدا طيّ النّسيان لأزيد من أربعة قرون ونيف، فقد كانت كما تقول منى ظريف: «محاولات لم تُؤتِ في عصرها ثمارها الممكنة، أو المرجوة؛ لأنّها تأتت، وشئس الحضارة العربيّة تُوشك على الأفول، ولم تَلَقْ خلَقاً صالحاً يحمل ميراثها العظيم، والذي يبدو حتّى يومنا هذا قابلاً للاستثمار المريح كمحاولة سان سيمون، أو حتّى أوجست كُونت وسواهما من الغربيّين الذين قُدّر لمحاولاتهم التّواصل والسيّورة والنّماء...»⁽³⁾ وفي هذا السّياق ومع نهايات القرن الثّامن عشر كانت السّوسولوجيا، قد استقلّت عن الفلسفة على غرار السيّكولوجيا، وغيرها من العلوم وطفقت تُخصّص إلى المنهج التحريبيّ أسوة بالعلوم الطّبيعيّة، وذلك من حيث مُقارَعتها، ومُقاربتها للظواهر الاجتماعيّة.

تُلفّي أوّل بادرة حديث عن التّمثّلات كمفهوم سوسولوجيّ صريح على نُحوم القرن التاسع عشر، على يد إميل دوركايم (1858 Emile Durkheim - 1917)، "حيث كان الطّرح السّوسولوجي المعقّد للآباء السّوسولوجيين آنذاك؛ يقوم على مساءلة أصل الواقع

(1) حميدة مهدي سميسم، بنية الصورة وسياسة الاتّصال، دراسة في إشكالية البنية الاتّصالية للاستهلاك والثّقافة العربيّة، مجلّة الباحث الإعلامي، بغداد، العراق، عدد مزدوج، 6-7، جوان، 2009، ص 21

(2) عبد الرّحمان بن محمّد ابن خلدون، المقدّمة، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار النّشر التونسيّة، تونس، ج2، 1987، ص 557.

(3) يُحْيى ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانيّة، تقنيّتها وإمكانية حلّها، مؤسّسة هنداوي، مصر، 2014 ص 36

الاجتماعي ووضعه الأنطولوجي ؛ من أين يأتي المجتمع؟ ما مصدر هذا الكيان المكوّن من الأفراد؟ كيف أمكن لعدد كبير من البشر الذين يتمتع كلّ واحد منهم بحياة فردية داخلية ؛ أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا بالطريقة نفسها ؟ ¹ ؛ هذ الأسئلة على أهميتها تُدخلنا رأسًا إلى المنجز الدوركامي حول : دراسته المتعلقة بالأشكال الأولية للحياة الدينية على المجتمعات الأكثر بساطة، قبائل أستراليا البدائية (الأروناتا)، وانطلاقا من اعتباره للطوطم (totem) كأقدم ديانة بشرية ؛ فإنه يرى أنّ : « الرابطة التي تربط بين أفراد القبلة مصدرها الطوطم، لا الدم أو السكن، فالأفراد مجتمعين لا يعبدون الطوطم ؛ سواء كان حيوانا، نباتا أو أيّ جحادٍ ، بل يعبدون القوة الكامنة فيه، وهي قوة خلقها الظروف الاجتماعية، وتلك القوة التي تدفع الأفراد للعمل والتعاون مصدرها الطوطم . » ⁽²⁾

كعودة دائمة للأب المفقود (دوركام) كما يقول الباحث المغربي حسن أحجيج، نجد المتخصص في سوسيولوجيا القبائل مافيزولي ؛ يُحاجج لذات الفكرة، بيدَ إنّها في سياق اجتماعي مغاير تمامًا " حيث يرى أنّ الصورة في عصرنا هذا تحوّلت إلى ما يشبه (الطوطم)، وتوظّف بوصفها مركز جذب جماعي، واستقطاب وتعمل على تحقيق الربط والتواصل بين الأفراد داخل المجتمع الواحد . " ⁽³⁾، و تنزيلاً لهذا الطرح المافيزولي المعاصر، تُورد مثالا توضيحياً عن ذلك : "حيث يوجد هناك فوق رصيف افتراضي لتبادل الصور يدعى "انستاغرام" يوجد قنفذ صغير يسمى بيدي متبوعا بـ : 342 ألف معجبا ؛ لأنّه يظهر في أوضاع مضحكة، ومنه فبيدي هو نوع من الحيوان الطوطمي الذي يجمع فيما بين أعضاء جماعة افتراضية ما . " ⁽⁴⁾

يبدو أنّ القبيلة المعاصرة في مفهوم مافيزولي، لها طوطمها الخاص أيضا، فقد تكون صورة ، مغنيًا شهيرا أو لاعبا محترفا، ليغدو بذلك الطوطم الأب الروحي والمقدس للقبيلة البدائية، وحتى المعاصرة، وبغض النظر عن جنسه وحجمه فهو يدلّ على القوة الرمزية و الاجتماعية التي تؤلّف بين أفراد الجماعة، ومن هنا انبثقت فكرة أنّ المجتمع هو الذي يُنتج ويعيد إنتاج أفرادهِ .

يُميّز دوركام التمثّلات الجماعية من الفردية " حيث يرى إنّ هذه الأخيرة أساسها المشاعر الناتجة عن تفاعل الكثير من خلايا المخ، حيث تتمزج تلك المشاعر لتكوّن تمثّلات فردية، في حين أنّ التمثّلات الجمعية تنتج عن طريق مزج الضمائر الفردية واتّحادها، مشددا على دور الوعي الاجتماعي في صياغة الوعي الفردي، منتهيا إلى القول بأنّ الغالبية الكبرى من آرائنا وميولنا ليست من صنعنا، وإنّما تأتي من الخارج . " ⁽⁵⁾

1) آن وارفيلد رازلز، نظرية المعرفة عند دوركام ضمن كتاب الدين والمجتمع قراءة معاصرة في أعمال دوركام تر: حسن أحجيج، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، 2015، ص 17.

2) يوسف شلحد، نحو نظرية جديدة في علم اجتماع الدين، دار الفارابي، ط 01، بيروت، لبنان، 2005 ص 131 .

3) ميشال مافيزولي، تأمل العالم . الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، تر : فريد الزاهي، المشروع القومي للترجمة، ط 01، 2005، ص 30.

4) أحمد رياض، ميشال مافيزولي، عناق السوسيولوجيا الفرنسية نشرت بتاريخ، 02 أوت 2014 .

تاريخ الولوج إلى الموقع : يوم 13 / 09 / 2020 على الساعة 7:30 د <https://alghirbal.blogspot.com>

5) إميل دوركام، قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر: محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية

(د، ط)، الإسكندرية، مصر، 1977، ص 54 .

فَرَادَة الفكرة التي طرحها دوركايم حول تأليه المجتمع، أو ما يُرادف فكرة " المجتمع عزّ وجل " ⁽¹⁾ ؛ تُعزى بشكل مباشر إلى المناخ الفكري والاجتماعي الذي ميّز المجتمع الأوروبي ، ومنه الفرنسي على وجه التحديد في تلك الحقبة، حيث كانت الاتجاهات الماكروسociولوجية طُرّا (الماركسيّة، الوظيفيّة، وسلياًكها) في بدايتها تعتبر أنّ المجتمع هو النواة الأساسيّة في التحليل السّوسيولوجي، والفرد والحال هذه لا يعدو أن يكون مجرد حلقة صُغرى فارغة تنصهر أناه في إطار محدّدات الجماعة، وما عليه إلا أن يخضع لها بدون اختيار، فهو لم يختار المجتمع الذي هو موجود قبله أساسا (لقبه، أسرته، العادات والتقاليد، القيم . الخ) ؛ فلن كانت التمثّلات الفرديّة:

- ✓ هي ضمير كلّ واحد .
- ✓ خاصّة بالفرد (تموت بموته) .
- ✓ مختلفة من شخص لآخر .
- ✓ فإنّ التمثّلات الجماعية هي :
- ✓ المجتمع في كليته .
- ✓ يتقاسمها المجتمع بأكمله (وخالدة بخلوده) .
- ✓ ثابتة بمنأى عن أيّ تغيير .

وبهذا يُعتبر المجتمع من وجهة نظر دوركايم هو البؤرة الحقيقية التي يتشكّل فيها، وعبرها وعي الأفراد حول موضوعات العالم الخارجي . إنّ هذا الطّرح الدّوركايمي الأحادي الجانب (و المُنثَوِر) في مقارنة التمثّلات دفع إلى تغيير طرق التّفكير فيها خصوصا بعد أفول الدّراسات حول هذا المفهوم بموته، حيث تقول جودلي (Jodelet, D): « إنّ هذا المجهود الدّوركايمي عرف تراجعاً من السّاحة العلمية، وذلك لسببين أوّلهما : هيمنة المدرسة السلوكية الأمريكيّة (1913 Watson) على علم النفس ردحاً من الزّمن، حيث لم تكن تأمن إلاّ بالسلوكيات الظّاهرة، والقابلة للملاحظة، أمّا السّبب الثّاني فيعود إلى هيمنة الاتجاه الماركسي على المجتمع الفرنسي .. » ⁽²⁾، وعطفاً على ذلك ؛ سنعمل على تحليل هاذين السّببين كلّ على حدى .

لقد آمن ابن القرن التاسع عشر؛ كارل ماركس (1818-1883 Karl Marx) بجانب شريك أفكاره فرديريك أنجلز ؛ " أنّ العالم الاجتماعي في واقع الأمر هو المسؤول عن إنتاج الأفكار، وبذلك فالمجتمع هو الذي ينتج الثقافة (الأفكار)، وليست هذه الأخيرة هي المسؤولة عن إنتاج المجتمع فالبنية التّحتيّة (المادّية) هي التي تحدّد البنية الفوقيّة (الأفكار، التمثّلات)، وبما أنّ هذه الأخيرة محكومة بقوى خارجة عنها ؛ فإنّها لا تملك استقلالاً ذاتيّاً " ⁽³⁾، وهو بهذا يقلب مقولة هيغل الجدلية رأساً على عقب، حيث يقول في هذا الصّدّد : « إنّ وعي النّاس لا يرسم حدود وجودهم الاجتماعي، إنّ وجودهم الاجتماعي هو الذي يرسم وعيهم . » ⁽⁴⁾

لعلّ أهمّ ما يمكن استشفافه من التّصور الماركسي (المادّية التاريخية) للواقع الاجتماعي، هو قلبه للإرث الفكري الألماني الذي يتجسّد في المثالية الجدلية (هيغل)، فبدل أن يطبّقه ماركس على عالم الأفكار طبّقه على عالم المادّة، معتبرا إيّاها أساس كلّ شيء، مستبعدا

(1) بيار بورديو، " عن الدّولة، دروس في الكوليج دوفرانس (1979-1992) "، تر: نصير مروة، مجلّة عِمران للعلوم الاجتماعيّة، مجلّة فصلية محكّمة، المركز العربي للأبحاث والدّراسات، الدّوحة ، قطر، العدد 23 شتاء 2018، ص 201.

2) Jodelet, D , op cite ; p:5 .

(3) عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الهوية، جدليّات الوعي والتّفكّك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، بيروت، لبنان، 2017، ص32 .

(4) عبد الباسط عبد المعطي : اتّجاهات نظريّة في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت 1981، ص 69 .

بذلك فرضية وجود محددات نفسية في تفسير الواقع الاجتماعي يعتبر هذا الطرح الراديكالي نظرية ثورية لاعتبارات (سياسية واجتماعية) حققت بالأساس لتلك الفترة، ثم ما لبث أن لاقى نقودا كثيرة من منطلق أنه نموذج منقوص في عقر داره، على غرار طرح مواطنه دوركايم، وذلك بسبب طرحه الأحادي الجانب أيضا في تفسير المجتمع، وإقصائه للعامل الرمزي في معادلة الفهم تلك، و من ثمة عجزه عن فهم الإنسان في صورته اللامادية، ويمكن القول هاهنا ؛ أن هذا الطرح الماركسي شأنه شأن النظريات التاريخية التي خرجت من أعطاف القرن التاسع عشر، أي ارتباطها وتعبيرها عن مرحلة تاريخية معينة و نسق اجتماعي محدد (النموذج الألماني)، يعتقد بوجود مجتمع بدون فاعلين تحكمه حتميات اقتصادية، ولو أننا قمنا بمقابلة بين الطرح الدوركايمي، والماركسي في مقارنتهما وتحليلهما للمجتمع لوجدناهما يختلفان أكثر مما يتفقان ، في هذا الصدد يقول إيرفينج زاليتين : « أن ماركس كان شبحا، ظل يحاكيه ويُناوِره كل من أتى بعده وفي مقدمتهم دوركايم، أما ألفن جولدنر فيذهب إلى أن دوركايم أراد أن يخالف ماركس ، إلا أنه لم يستطع إلا أن يلتقي معه ولو على هامش الوجود الاجتماعي، والوعي الاجتماعي، فهو يؤكد أن وجود المجتمع سابق على وجود الفرد، والوعي الجمعي سابق على الوعي الفردي ؛ فالوجود الاجتماعي ليس متحدا لديه بمتغيرات مستقلة، وإنما اعتبر كل المجتمع وجودا اجتماعيا ؛ بمعنى أنه وسع من نطاق الوجود الاجتماعي، ولم يحدده بالعلاقات الإنتاجية كنقطة بدء مهمة. »⁽¹⁾

3.3 المقاربة التشويئية (علم النفس العرفي) :

لا يستقيم الحديث عن تيمة التمثيلات ؛ دونما العروج عليها في المفهوم البياجيسي، ذلك إن هذا المفهوم لم يصل في صيغته كنظرية مكتملة ؛ إلا بالاعتماد على تجلّوبات، ودراسات علم النفس الطفولي، والمعرفي ومجالات أخرى، " فقد جاءت النظرية البنائية لرائدها جان بياجيه (1896 - 1980 Jean Piaget) كرد فعل مباشر لما يسمى ضيق أفق السيكلولوجية، أي المثير والاستجابة، حيث يعترض الاتجاه المعرفي على نقيضه السلوكي ؛ بأن الإنسان ليس مجرد مُستجيب للمثيرات الخارجية، بل يتلقاها بعقلانية ويتفاعل معها من خلال عمليات معرفية متنوعة اعتمادا على خبرات سابقة، حيث يعالج هذه المنبهات ويجوّلها إلى أنماط جديدة "⁽²⁾

ينظر بياجيه إلى التمثيلات من جانب ثنائي معرفي، وقد استخدمه في أعماله ؛ ليدل على مجموع التصورات الفكرية التي تتكوّن لدى الذات حول الموضوع من خلال تفاعلها المستمر، فهذه التمثيلات تنمو بالأساس مع نموّ جهازه النفسي والاجتماعي من خلال علاقته بالمحيط، وعرفه على أنه : الاستحضار الذهني للأشياء والمواضيع الغائبة وإمّا إكمال المعرفة الإدراكية لأشياء حاضرة أماننا بالرجوع إلى أشياء غير حاضرة في تلك اللحظة. "⁽³⁾

إذن وفقا للرؤية البياجيستية (Piagetienne) ؛ فإن الفرد يولد حاملا للأفكار في ذهنه ، وليس خاضعا للبيئة بصفة مطلقة، وما نموّه المعرفي إلا نتاج عملية تفاعل بينه وبين العالم الخارجي، وبذلك فهي تشكّله ويشكّلها في آن واحد، وما يمكن أن نستنتجه من هذا الطرح، أنه جاء أيضا مناقضا للطرح الدوركايمي، والذي يرى بأن التمثيلات الفردية هي نتيجة للضغط الذي يُمارس على الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها كما أضحنا سلفا .

(1) المرجع نفسه، ص 88 .

(2) أمل البكري، و نادية العجور، علم النفس المدرسي، المعتر للتشر والتوزيع، ط 01، الأردن، 2011 ص 46 .

(3) العربي أسليماني، المعين في التربية، مطبعة النجاح، (د، ط)، المغرب، 2014، ص 168 .

4.3 المقاربة الأنثروبولوجية :

علم الأناسة هي الأخرى ؛ لم تكن بعيدة عن هذا المناخ، حيث أدلت بدلوها في هذا التشييد المعرفي للتمثلات، فرائد البنيوية ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss 1908 - 2009)، على غرار مواطنه دوركايم قام بدراسة حول القبائل البدائية في أمريكا الأمازون أنموذجا " واعتمادا على المنهج البنيوي توصل إلى أنّ القبائل البدائية تحكمها بنية خفية ، وبالتالي فإنّ هدف الباحث يكمن في الكشف عن هذه البنية ؛ لأنّ الظواهر البارزة على السطح لا تمثل الحقيقة، وحاول أن يثبت عكس الفكرة القائلة : أنّ الشعوب والقبائل (البدائية) عاجزة عن التفكير " (1)، وهو بهذا يؤكد على أهمية دراسة التّصورات الجماعية انطلاقا من التّصورات الفردية ؛ فهذه الأخيرة أقلّ تعقيدا من التّصورات الجماعية، وبالتالي من السهل دراسة ما هو عناصرها فالتّصورات العقلية الفردية هي التي تتحكم في التّصورات الجماعية وتسمح لها بالظهور . (2).

نخلص من خلال الفكر البنيوي الستروشي أنّ : التمثلات الذهنية الفردية تحدّد التمثلات الجماعية، وهو بهذا الطرح يجا في الطرح الدوركايمي ؛ لأنّ الفرد هو الذي يشكل الظواهر الاجتماعية، وبذلك فهو محطة الانطلاق لا محطة الوصول .

5.3 المقاربة السيكلوسوبولوجية:

كان مفهوم التمثلات الاجتماعية " قد عرف جزرا وتراجعا ما ينيف عن ستين سنة ، بما يعادل أكثر من نصف قرن " (3) ؛ إلى أن جعل منه الباحث سيرج موسكوفيسي (Serge Moscovici 1925 - 2014) موضوعا للدراسة ؛ محيّا بذلك التراكمات والمجهودات الدوركايمية، ومتجاوزا لها، مقرّا بولوج العالم عصرا جديدا قائلا: " إنّ عصرنا هذا هو عصر التمثلات الاجتماعية ... " (4)، ومتوكّفا في ذلك أيضا على أبحاث وتحليلات غابريال تارد (Gabriel, T) مؤسس علم النفس الاجتماعي، هذا الأخير كان قد دخل في ملاحاة ابيستمية (معرفية) مع دوركايم ؛ خاصة بعد إقصائه الجانب السيكلولوجي من تحليلاته للظواهر الاجتماعية، كما وضّحنا سابقا، يقول تارد في هذا الصدد : " إنّ عصر السوسولوجيا بدون سيكلولوجيا كما تصوّره دوركايم قد انتهى فالمستقبل اليوم أصبح لعلم اجتماع سيكلولوجي . " (5)، وتأسيسا لذلك بدأت العلوم الاجتماعية طرا ؛ تُولي أهمية كبيرة للجانب السيكلولوجي للفرد، في تحليلاتها، ومقاربتها للواقع الاجتماعي بوصفه ذاتا عارفة ؛ لا مُلْتَبِنَةً (عجينة) قابلة للتشكيل من طرف المجتمع .

انْزَرت أبحاث موسكوفيتشي على دراسة الجانب التفاعلي بين الذاتي والموضوعي، لتتنزّل بادئ الأمر في شكل أطروحة دكتوراه سنة (1961م)، ثمّ يُطَبِّع العمل مرّة أخرى في صورة كتاب موسوم بـ :

1) جون ستروك، البنيوية وما بعد البنيوية من ليفي ستراوش إلى دريدا، تر : حسن عصفور، عالم المعرفة

الكويت، 1996، ص 42.

2) أحمد جلّول، مومن بگوش الجموعي " التّصورات الاجتماعية مدخل نظري"، مجلّة الدّراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 06 ، أبريل 2014، ص 169.

3) Mannoni, p ; Les représentations sociales que -sais je, (6 éd) , Puf , France, 2006, p: 43 .

4) MOSCOVICI , S, Des représentations collectives aux représentations sociales éléments pour une histoire. In D. Jodelet représentations sociales (éd2), PUF Paris ,1989 p: 77 .

5) Gabriel , T, Ecrits de psychologie sociale textes choisis par : A.M.Rocheblave-Spenlé et J.Milet. Édouard Privat, France , 1973 P:11

la psychanalyse son image et son public سنة (1976م)، وُعرِّب تحت وسم " التحليل النفسي صورته وجمهوره، وقد كان موسكوفيتسي يُروم من خلال دراسته تلك ؛ أن يتبين : " كيف يحوّل التمثّل الاجتماعي المعرفة ذات طابع علمي إلى معرفة ساذجة، أو عامة عن طريق آليتين هما : التوضيح والترسيخ ويكشف عن طبيعة التغيرات التي تطرأ على هذه السيرة، كأن تُقبل مفاهيم مثل: الشعور (le conscient) واللاشعور (l'inconscient)، وتُرفض أخرى كالبيدو (la Libido) ؛ لأنّها لها معنى جنسي . " (1)

لقد كانت نظرية التحليل النفسي ؛ لعالمها الشهير فرويد في ذلك الوقت محلّ جدل فكريّ في الصحافة الفرنسية، وكان لها قراء متعدّدون ومختلفون، ولذلك نشأت تمثّلات اجتماعية ووجهات نظر مختلفة لدى الفرنسيين إزاء هذا الموضوع ؛ تتوافق مع ثقافة، وإيديولوجية كلّ فئة اجتماعية، ونوعية المعلومات التي تستقيها من الصحافة معتمداً في ذلك على تحليل خطابات الصحافة المكتوبة، والمسموعة بشأن هذا الموضوع، وعلى سبر آراء مجموعات كبيرة من الفرنسيين رجالاً ونساءً، سياسيين ومتدينين كاثوليك وغيرهم، وذلك بالتعرف أولاً على نوعية المعلومات التي تنشرها الصحافة بخصوص التحليل النفسي، ثمّ تحديد اتجاهات الفرنسيين المؤيدة، وغير المؤيدة للتحليل النفسي . " (2)

كان من بين النتائج التي توصّل إليها موسكوفيتسي أنّه : لا يوجد تمثّل واحد ووحيد للتحليل النفسي، بل كانت هناك عدّة تمثّلات هذه الأخيرة تختلف في محتواها، ومستوى بنائها، وتوجهها العام نحو الموضوع المتمثّل كما تختلف أيضاً حسب الانتماء الاجتماعي، ومن بين نتائج دراسته أيضاً ، بروز اختلاف كبير بين الجمهور الشيوعي، والكاثوليكي، حيث أعطى كلّ منهما تأويلاً مختلفاً للتحليل النفسي، والذي كان مرتبطاً بنظرتهم الخاصة للفرد والمجتمع . " (3)

لعلّ أهمّ ما استرعى انتباهنا في دراسة موسكوفيتشي، أنّه اختصّ بدراسة الانسان العادي، وخياله الساذج ما يردفها في مفهوم " ماكس فيبر " إنسان الشارع "، بمعنى آخر " كيف يتشكّل تفكيره حول مختلف المواضيع المحيطة به ؟ " (4) ، حيث خلّص موسكوفيتسي إلى أنّ التحام الفرد بالموضوع ينتج عنه ما يصطلح عليه بالتمثّل الاجتماعي ؛ هذا الأخير يتأثر بالفرد المتمثّل، والموضوع المتمثّل في الوقت نفسه ؛ سواء كان شخصاً أو حدثاً ؛ لأنّهما في تفاعل وتواصل مستمرّين، وعطفاً على ما سبق ، يمكن القول أنّ موسكوفيتسي بتبني مفهوم التمثّلات الجمعية، ومتجاوزاً لها، لا يعني أنّه ردّد آراء إميل دوركايم على عواهنها إن -جاز لنا القول-، بل إنّ استلهم منه الروح الوضعية، مركزاً على أهمية التفاعل بين البعدين النفسي والاجتماعي، بين البنية، والفعل (بالمفهوم السوسيولوجي المعاصر)، في مقارنة الواقع الاجتماعي، ليكنّه ذلك من وضع أول إطار للتفصيل النظري لمقاربة علمية، واسماً إياها بنظرية التمثّلات الاجتماعية (la théorie de la représentation sociale)، ولعلّه من باب إحقاق الحقّ أن الأمر لا يتعلّق بنظرية موحدة بقدر ما يتعلّق بمجموعة من الأفق النظرية، تقع عند حدّ التقاطع بين علم الاجتماع ، علم النفس و الأنثروبولوجيا، هذه العلوم وأخرى، بتداخل مناهجها ومقارباتها وجدت نفسها مدعوة بشكل كبير للتعاون، بغية التعرّف على الإنسان أكثر فأكثر في جانبه النفسي والاجتماعي .

1) ibid ; Mannoni P: 48 .

2) كوثر السبسي، " التمثّلات الاجتماعية ؛ مقارنة لدراسة السلوك المواقف، والاتجاهات و آليات فهم الهوية " المجلة العربية لعلم النفس، مجلّة علمية محكمة، المغرب، العدد 01، صيف 2016، ص48.

3) حميد خروف و آخرون، التساق القيمي والتصورات الاجتماعية، دار الأنيس للنشر، والطباعة، 2007 قسنطينة، الجزائر، ص16 .

4) مصطفى قميّة " المقاربة السوسيولوجية لما بعد الحداثة ميشال مافيزولي أنموذجاً "، مجلّة إضافات، فصلية محكمة، تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، العدد 33، شتاء 2016، ص34 .

لعلنا ؛ وبعد هذه السّياحة الأركيولوجيّة لمفهوم التّمثّلات الاجتماعيّة، نرى أنّ الوقت قد أُرِفَ لإدراج بعض التعريفات، وستتوقّف عند أهمّها ؛ بل وأكثرها ذيوغاً، واعتماداً في الدّراسات، وذلك اقتفاءً بمن كان لهم قصبُ السّبق في تناول هذا المفهوم وتدارّسه .

يُعرفها موسكوفيتسي بوصفها : " نظام من التّفسيرات والتّأويلات للمواضيع والأحداث الواقعية الموجودة في الأوساط السّوسيو ثقافية التي ينتمي إليها الفاعلون الاجتماعيون ؛ حيث تدرك من طرفهم وتدمج داخل المنظومة الثقافيّة السّائدة، أو المكتسبة بشكل مسبق لديهم، وبالتالي يفضي هذا الإدماج إلى إعطاء تفسيرات حول هذه المواضيع المدركة في الواقع . " (1)

يُثني موسكوفيتسي في تعريفه هذا على العملية التّفاعلية بين الذات التّمثّلة والموضوع التّمثّل، كما بيّنا سابقاً من خلال دراسته حول تمثّلات المجتمع الباريسي للتّحليل النفسي، ولفهم أكثر لهذا المفهوم، نُورد مثالا توضيحيا يتماشى بالأساس، و راهنيّة الأحداث الأخيرة التي هزّت كيان المجتمع الجزائري، والعالمي طرّاً حول : الفيروس التّاجي أو ما يصطلح عليه طبياً (كوفيد 19)، ذلك إنّ تمثّلات الفرد نحو هذا المرض رهينة بالسياق السّوسيوثقافي الذي تنشأ فيه، وهي التي توجّهه وتحدّد سلوكه وممارساته ؛ إنّ بالتّوجّه إلى الطبيب، أو اللّجوء إلى التّداوي بالأعشاب، والامتنال لقواعد التّباعّد الجسدي . الخ، وهذا في مجمله يرتبط بما استدججه الفرد من معارف وخبرات، ومعلومات تجاه المرض، والصّحة عامّة وتجاه (كوفيد 19) خاصّة .

تنحو جودلي (Jodelet, D) في المنحى نفسه لموسكوفيتسي، حيث ترى في التّمثّلات الاجتماعيّة : " شكلا من أشكال المعرفة الاجتماعيّة ، وبالضّبط تعني معرفة الحسّ المشترك (Savoir de sens commun)، أو المعرفة السّاذجة (savoir naïf)، وهي بعكس المعرفة العلميّة (Savoir des experts) مُنتجة اجتماعياً ومتقاسمة ؛ تهدف إلى بناء واقع جماعي مشترك (Ensemble social) لمجموعة اجتماعيّة ، أي إنّها نتاج وعملية الإعداد النفسي، و الاجتماعي للواقع . " (2)

من تعريف جودلي (Jodelet, D) يتبدّى لنا: أنّ التّمثّلات الاجتماعيّة مصدرها المجتمع، ولذلك فهي معرفة عاميّة، عفويّة (spontanée)، ولا بدّ أن تتّمسّ بين مجموعة من الأفراد لكي تكون اجتماعيّة، وهو شرط ضروريّ لا مندوحة عنه، لذلك فهذه المعرفة، قد تكون خاطئة من النّاحية العلميّة ؛ لكنّها ليست خاطئة من النّاحية الاجتماعيّة لأنّها نوعٌ من المعرفة الدّاتية للأفراد، والجماعات تتراكم عبر السّنون ؛ ثم تُبتكر وتُصاغ ليتّمسّ تقاسمها بصفة جماعيّة.

جون كلود أبريك (Jean-Claude Abric 1941 – 2012)، غير مخالفٍ لجودلي، يرى أيضاً في التّمثّلات الاجتماعيّة : " أنّها تشكّل رؤية وظيفيّة للعالم ؛ تسمح للفرد أو الجماعة بإضفاء معنى على سلوكياتهم، وفهم الواقع المحيط بهم، ثمّ يردف قائلاً في موضع آخر : " إنّها عبارة عن نتاج وعملية لنشاط عقلي ؛ تسمح للأفراد بإعادة إنتاج الواقع، بمعنى منظّم يعمل كنظام لترجمة الواقع ؛ الذي يحكم العلاقات بمحيطهم النفسي، والاجتماعي وتحديد مختلف سلوكياتهم، وممارساتهم الاجتماعيّة . " (3)

(1) عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 115.

(2) Guichard , J , l' Ecole et les représentations d'avenir des adolescents ; PUF ,Paris 1993, p : 118

(3)Samuel Fontaine et Jean-François Hamon "la représentation sociale de l'école des parents et des enseignants à la Réunion ", Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale ، N°85, Paris, 2010 , p : 73

الباحثة كلودين هرزليش (C, Herzlich) من جهتها عرّفت التمثلات الاجتماعية من خلال دراستها حول: **الصحة والمرض تحليل للتمثلات الاجتماعية على أمّا** : « بناء سيرورة للواقع ، ومن ثمة فهي تعمل بكيفية متزامنة على المثير ، والاستجابة في وقت واحد ، وأكثر تحديدا ؛ إمّا توجه هذه ، وتشكل تلك . » (1)

بيّنت هرزليش (C, Herzlich) : أنّ التمثّلات الاجتماعية توجه المثير ، و تشكل الاستجابة في آن واحد قصد إعادة بناء الواقع ، وبذلك فهذه النظريّة جاءت كنقد للنظرية السلوكية الكلاسيكية والتي كانت تفترض أنّ هناك قطيعة بين العالم الداخلي ، والخارجي ، فالفرد ليس آلة كما يعتقد السلوكيون ، بل على نقيض هكذا طرح إذ أنّه كائن عارف ، فعله مقصود وموجّه يستدلّ ويعيد بناءه ، أي أنّه فاعل اجتماعي بالمفهوم الفييري.

كما عرّفها بيار بيارمانوني (Mannoni, P) في مستهل كتابه الموسوم بـ: **التمثّلات الاجتماعية** : « على أمّا قاعدة حياتنا النفسية ، وهي أيضا العناصر الأساسية لمعارفنا ، ولمعرفتنا المتعلقة بالحسّ المشترك ، يسهل علينا استدعاؤها بطريقة عفوية للتّوقع في المحيط المادي ذلك إنّ تموّعها بين النفسي ، والاجتماعي يجعلها متجذّرة في قلب النظام الاجتماعي . » (2)

يؤكد مانوني (Mannoni, P) في تعريفه هذا على أنّ : التمثّلات الاجتماعية تمثّل أساسا تقوم عليه حياتنا النفسية مركّزا في ذلك على البناء المعرفي العقلي لها .

من خلال جملة التعريفات المقدّمة ؛ يتراءى لنا أنّها متنوّعة ، ومختلفة في الوقت ذاته ، ونعزو ذلك إلى تعدّد الباحثين ، واختلاف توجهاتهم ، وكذا المقاربات النظرية المعتمدة ، ولعلّ هذا ما جعل الباحث الفرنسي **سعدى لحلو (S Lahlou)** يقول : « هذه التعاريف بالأساس ؛ هي جملة من التمثّلات لموضوع التمثّلات الاجتماعية نفسه .. » (3) ، بيد أنّ القاسم المشترك الذي يجمع كلّ هذا الشتات ، هو أنّ التمثّلات الاجتماعية تسمح لنا بمعالجة المظاهر الآتية :

✓ الفرد في علاقته بالآخر .

✓ الفرد في علاقته بالفعل .

✓ علاقة في علاقته بذاته .

وعطفا على ما سبق يمكن القول : إنّ التمثّلات الاجتماعية ؛ بماهي توليف بين البعد النفسي ، والاجتماعي تحيل على الكيفية التي يعيد بها الفرد بناء وتشكيل واقعه تجاه موضوعات العالم الخارجي ، وحسبنا هاهنا نعود مرّة أخرى للطرح السوسولوجي حول الضمير الجمعي لدى دوركاهم ، لكن في سياق معاصر ، ومغاير تماما حيث يتقاطع مفهوم التمثّلات الاجتماعية مع تحليلات بورديو حول " الهابيتوس " ؛ بوصفه بُنى بانيّة ، ومولّدة لتمثّلات ، وممارسات ، فالفرد كفاعل اجتماعي له نوع من الاستقلالية النسبية في الحكم على الأشياء ، ووفقا للوضعية التي يوجد بها ؛ ذلك أنّ تمثّلاته تجاه الوقائع ، والأحداث يتحكّم فيها من جهة بيئته الاجتماعية والثقافية ، وآراؤه الفكرية و الأيديولوجية من جهة أخرى ... " (4)

1) Serge MOSCOVICI, introduction à la psychologie sociale, tome 1 , PUF, Paris 1978, P: 4 37.

2) Mannoni op cite ; p: 04 .

3) Lahlou S; pense manger les représentations sociales de l'alimentation , sous la direction de Serge MOSCOVICI , Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales Thèse de doctorat en Psychologie Sociale, France, 1998, p : 53

4) عبد الغني عماد ، مرجع سابق ، ص 114 .

نستشف من خلال هذه الفكرة : أن الطرح البوردياوي يجافي الطرح الدوركامي الذي يعتبر أن الفرد مسير من طرف الضمير الجمعي كما بينا سلفا ؛ غير أنهما يتفقان في تأكيدهما على الطابع الجماعي للتمثلات، أي إنها تُكتسب من طرف المجتمع ، هذا ويلتقي بورديو مع موسكوفيتسي على صعيد آخر، في تأكيدهما على الطابع السيكلوسوسيولوجي لها، وذلك من خلال ميكانيزمات انبائها، و اشتغالها، وبذلك فالتمثلات الاجتماعية مستقرة، وثابتة، وفي الوقت نفسه متغيرة بعكس ما أقره دوركايمهم، ويُعزى ذلك البؤن بالأساس إلى أن هذا الأخير اختص بدراسة القبائل البدائية التي تتميز بالتضامن الآلي (القبائل الأسترالية)، أما موسكوفيتشي وسواه ممن عكفوا على دراسة التمثلات الاجتماعية حول مختلف الموضوعات مثل : المرض، الجنون، العوالة.. الخ فقد اختصوا بدراسة المجتمع ما بعد الحداثي (الفرنسي) ؛ الذي من أبرز سماته التغيير الذي نتج عنه التضامن العضوي (تقسيم العمل)، ولعل هذا وجه الفارقة في مقارنة النظريات السوسيولوجية لما بعد الحداثة (للوقائع والظواهر الاجتماعية المختلفة)، وبالتالي تميز التمثلات الجمعية من الاجتماعية ؛ كون هذه الأخيرة موعلة في النظام القيمي المتقاسم بين أعضاء الجماعة (ومن الصعب زحزحته)، متغيرة ومرنة تتميز بالدينامية والتطور تعززها التجارب الفردية الشخصية من جهة أخرى، أي إن منشأها فردي واجتماعي في نفس الوقت .

4. خاتمة:

ها نحن نصل إلى تُخوم القول الذي حاولنا من خلاله أن نبسط لمقاربة مفاهيمية حول التمثلات الاجتماعية بوصفها أمشاج من الأفكار والمعارف والمعلومات الخاصة بجماعة ما حول موضوع معين، تُبنى بطريقة تلقائية من خلال سيورة التجربة الفردية والاجتماعية، أي إنها تولد وتبنى جماعيا، ولعل هذا الطابع البنائي الازدواجي هو ما جعلها مادة دسمة للكثير من الباحثين باختلاف مللهم ونحلهم، فعكفوا على دراستها وتطويرها بمقاربات نظرية مختلفة لم يسعنا المقام للتطرق لها كلها، غير أن الشتات الذي يجمع تلك الدراسات والأبحاث هو تأكيدها على القيمة الاستكشافية لهذا مفهوم، ودوره في فهم مختلف التفاعلات الاجتماعية دقيقتها وجليلها، بما تحمله من رموز، ومعانٍ، ودلالات، وبالتالي أصبح بالإمكان التطرق للعديد من الثيمات ؛ التي لطالما ظلت السوسيولوجيا الوضعية الرسمية تردّها من حيز الدراسات ردحا من الزمن .

5. قائمة المراجع:

- (1) أمل البكري، نادية العجور، علم النفس المدرسي، المعتر للنشر والتوزيع، ط 01، الأردن، 2011.
- (2) إميل دوركايم : علم اجتماع وفلسفة، تر: حسين أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط 1، القاهرة، مصر 1966 .
- (3) إميل دوركايم : قواعد المنهج في علم الاجتماع، تر: محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (د، ط) مصر، 1977 .
- (4) آن وارفيلد رازلز : نظرية المعرفة عند دوركايم ضمن كتاب الدين والمجتمع قراءة معاصرة في أعمال دوركايم تر: حسن أحجيج مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، 2015 .
- (5) العربي أسليمان، المعين في التربية، مطبعة النجاح، (د، ط)، المغرب، 2014 .
- (6) حميد خروف وآخرون، التسق القيمي والتصورات الاجتماعية، دار الأنيس للنشر، والطباعة، قسنطينة الجزائر، 2007 .
- (7) جون ستروك، وما بعد البنيوية من ليفي ستراوس إلى دريدا، تر: حسن عصفور، عالم المعرفة الكويت، 1996 .
- (8) جان لابلاتش، ج ب بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، بيروت لبنان ط 03، 1997 .
- (9) جون سكوت : المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ط 02، لبنان، 2009 .
- (10) عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت 1981.

- 11) عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية ط 01، لبنان، 2001 .
- 12) فليب كابان، جاك فرونسوا دروتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشئون اليومية : تر: إيتاس حسن دار الفرقد للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2010 .
- 13) ميشال مافيزولي، تأمل العالم، الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، تر: فريد الزاهي، المشروع القومي للترجمة، ط01، 2005.
- 14) سليمان قياض، الحقل الدلالي الصرفية للأفعال العربية، دار المربخ للنشر، ط01، الرياض، السعودية 1990.
- 15) يوسف شلحد، نحو نظرية جديدة في علم اجتماع الدين، دار الفارابي، ط01، بيروت، لبنان، 2005.
- 16) عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، المقدمة، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار النشر التونسية، تونس، ج2، 1987.
- 17) يمني ظريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية، تقنياتها وإمكانية حلها، مؤسسة هندواي، مصر، 2014.

ثانيا - توثيق الدوريات والمجلات :

- 1) أحمد جلّول، مومن بگوش الجموعي " التصورات الاجتماعية مدخل نظري"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، العدد 06، أفريل 2014.
- 2) بيار بورديو، " عن الدولة، دروس في الكوليج دوفرانس (1979، 1992)" ، تر: نصير مروة، مجلة عَمْران للعلوم الاجتماعية، مجلة فصلية محكمة، المركز العربي للأبحاث والدراسات، الدوحة، قطر، العدد 23 شتاء 2018 .
- 3) حميدة مهدي سميسم، " بنية الصورة وسياسة الاتصال، دراسة في إشكالية البنية الاتصالية للاستهلاك والثقافة العربية"، مجلة الباحث الإعلامي، بغداد، العراق، عدد مزدوج، 6-7، جوان، 2009 .
- 4) كوثر السيسسي، " التمثلات الاجتماعية، مقارنة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية" المجلة العربية لعلم النفس، الرباط، المغرب، المجلد 01، العدد 01، صيف 2016 .
- 5) مصطفى قمية " المقاربة السوسيولوجية لما بعد الحداثة ؛ ميشال مافيزولي أمودجا"، مجلة إضافات، فصلية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، تونس، العدد 33، شتاء 2016 .

ثالثا- توثيق المواقع الالكترونية

- 1) أحمد رياض : ميشال مافيزولي، عناق السوسيولوجيا الفرنسية نُشرت بتاريخ : 02 أغسطس 2014 .

<https://alghirbal.blogspot.com/2014/08/blog1>

تاريخ الولوج إلى الموقع : يوم 13 / 06 / 2020 على الساعة 7:30 د

رابعا - توثيق المراجع الأجنبية :

- 1) Mannoni, p ; Les représentations sociales que -sais je, (6 éd) , Puf France, 2006
- 2) MOSCOVICI, S, Des représentations collectives aux représentations sociales éléments pour une histoire. In D. Jodelet représentations sociales (éd2), PUF , Paris 1989 .
- 3) Gabriel , T, Ecrits de psychologie sociale textes choisis par : A.M.Rocheblave-Spenlé et J.Milet. Édouard Privat, France , 1973.
- 4) Guichard , J , l' Ecole et les représentations d'avenir des adolescents , PUF, Paris 1993 .
- 5) Samuel Fontaine et Jean-François Hamon "la représentation sociale de l'école des parents et des enseignants à la Réunion ", Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale , N°85, France, 2010 .
- 6) Ruano-Borbalan, J, "Une notion clef des sciences humaines " revue des sciences humaines, N °27 avril, France, 1993 .
- 7) Lahlou S; pense manger les représentations sociales de l'alimentation , sous la direction de Serge MOSCOVICI ,Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, Thèse de doctorat en Psychologie Sociale, France , 1998 .